(قافية الهمزة)

قال ـ وقد طلب اليه سيف الدولة أجازة أبيات لابى ذر سهل بن محمد الكاتب [1]

عَذْلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قلبِ التَّائِهِ ... وَهَوَى الأَحِبَّةِ منهُ فى سَوْدائِهِ [2]

يَشْكُو المَلَامُ إِلَى اللَّوائِمِ حَرَّهُ ... وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحائِهِ [3]

---

(١) وهذه هى أبيات أبى ذر المذكور، وكان شيخ سيف الدولة

يَالائمى كُفَّ المَلَامَ عن الذى ... أَضناهُ طُولُ سَقامه وشَقَائِه

إِن كُنْتَ ناصحَه فَداوِ سقامَه ... وأعِنْهُ مُلتمساً لِأمرِ شِفائِه

حتى يقالَ بِأنَّكَ الخِلُّ الذى ... يُرجَى لِشدَّة دهرِه ورَخائه

أَوْلَا فَدَعْهُ فما به يَكفيهِ مِن ... طول الملام فلستَ مِن نُصحائه

نَفْسى الفِدَاءلمن عَصَيتُ عواذلى ... فى حُبِّه لم أخشَ من رُقَبائه

الشمس تطلعُ من أَسرَّة وجهه ... والبَدرُ يَطلُع من خِلال قَبائه

(٢) يعنى بالتائه نفسه وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التى فى جوفه كأنها فلذة كبد. يقول : ان لوم اللوام حوال قلبى وهوى الأحبة قار فى سويدائه واذن لايصل اللوم الى قلبى وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم

تَعَلْغَلَ حيثُ لم يبلُغ شرابٌ ... ولا حُزنٌ ولم يبلغ سرور

وقد روى بدل قلب التائه قلبى التائه على أن التائه صفة لقلبى وليس هناك لانه لايقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبى يتيه على عذلهم، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : وليس بمستحسن

(٣) البرحاء شدة الحرارة، من برحاء الحمى وهى شدتها - يقول : ان اللوم يشكو حرارة قلبي الى اللوائم كأنه يقول لهن لاتبعثنى اليه لانى أخشى برحاء قلبه واذا لمنى أعرض اللوم عن قلبى خشية أن تلفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لايقبل اللوم واللوم لايطيق أن يصل الى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب. وليس يخفى مافى هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل

وَبِمُهْجَتِي يَاعَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ (١)

إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (٢)

الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٣)

أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٤)

مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ (٥)

---

(١) الباء فى بمهجتى للتفدية ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله ياعاذلى يامن يعذلنى وهذا اقتضاب عدل به عن النسيب الى المديح . يقول : انى بالاثمى أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم اتركه وات غيره واسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته

(٢) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستوى حبه عليها مادام قد ملك الدنيا

(٣) والنصر من قرنائه أى أنه اينما كان فهو منصور والسيف من أسمائه لانه يعرف بسيف الدولة

(٤) الخلال جمع خلة وهى الخصلة والأباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من اباته أى أنه أشد اباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه

(٥) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف الى مثل هذا الغلو والمتنبى كثيرا ما يلجأ فى شعره الى الافراط وقد ذمه قوم من المتقدمين وإنى معهم)

﴿ واستزاده فقال ﴾

أَلْقَلْبُ أَعْلَمُ يَاعَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ (١)

فَوَمَنْ أُحِبُّ لَاَعْصِيَنَّكَ فِى الْهَوَى قَسَماً بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ (٢)

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعْ مَانَرَاكَ ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ (٤)

---

(١) الضمير فى مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود الى القلب والمراد بمائه دموعه يقول : القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتمس شفاءه فى البكاء ويأمر الجفن به * وان شفائى عبرة مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الاكبر وأنت أيها العذول خليق بأن تعصى ولا اكتراث بنهيك

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطعتك أيها اللائم فيه

(٣) الاستفهام فى أأحبه انكارى يقول: لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه وقد ناقض بذلك قول أبى الشيص

أَجِدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لِذِكرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وقال الواحدى: معنى قوله ان الملامة فيه من أعدائه ان صاحب الملامة أى اللائم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لاموجب له فالمتنبى يقول ان اللوم من أعداء حبيبه فلا يجمع بينه وبين حبه إياه أى انه لايصغى للوم اللوام ولايقبله

(٤) وقولهم عطف على اللحاة والوشاة جمع واش وهو النمام لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب واللحاة جمع لاح وهو العاذل اللائم يقول : ليس هناك الا واش أولاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لاتطيق كتمانه والوشاة يتعجبون من* قولهم هذا قائلين اذا لم يطق كتمانه كان عن تركه أعجز يعنى : انى وان كنت ضعفت عن اخفاء هذا الحب بيد انى لا أتركه

مَا الْخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لاَ يَرَى بِسَوَائِهِ (١)

انَّ المُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٢)

مَهْلاً فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ (٣)

وَهَبِ الْمَلاَمَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ (٤)

---

(١) الخل والخليل الصديق والطرف العين وسوى اذا قصرته كسرته واذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق الا من لافرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود بقلبه واذا نظرت فكأنى أنظر بعينه والمعنى صديقك من وافقك فى كل شىء فيود ماوددت ويرى ماترى وقال ابن جنى :المعنى ليس لك خليل الا نفسك وهو كقوله

خَلِيلُكَ أنت لامَنْ قُلتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَجَمُلُ وَالكَلامُ

(٢) الصبابة رقة الشوق . والاسى الحزن والاخاءالاخوة وربها أى صاحبها والضمير للصبابةيقول: ان الذى يعين على صاحب الصبابة بأيراد الحزن عليه بلومه اياه أولى بان يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى وهذا فى عراض قول أبى ذر المتقدم * ان كنت ناصحه فداو سقامه *

وجعل ايراده الحزن عليه عونا على معنى أنه لا معونة عنده الا هذا كقولهم عتابك السيف وحديثك الضرب وقوله على الصبابة أى على صاحبها كما قلنا والمعنى معما أنا فيه من الصبابة

(٣) يقول : دع اللوم أيها اللائم فانى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فان السمع ـــ والمراد الاذن ـــ من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما

(٤) هب أى احسب والسهاد الارق والكرى النعاس قال ابن جنى المعنى : اجعل ملامتك اياه فى التذاذ كها كالنوم فى لذاذته فاطردها عنه بما عنده من الارق والبكاء أى لاتجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلتزل ملامتك اياه وهذا معنى صحيح مستساغ ولكنه لم يعجب الواحدى اذ يقول : هذا كلام من لم يفهم المعنى وظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملامة فانه ليس بألذ من النوم أى فان جاز أن لاتنام جاز أن لاتعذل . . .

لَا تَعْذُلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ (١)

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ ... مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ (٢)

وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ ... لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ (٣)

لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ فَدَيْتُهُ ... مِمَّا بِهِ لَأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ (٤)

وُقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ ... مَا لَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ (٥)

يَسْتَأْسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ ... وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ (٦)

---

(١) لا ناهية ويروى لانعذر فتكون نافية يقول : لاتلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى

اذا شئتَ أن لاتَعْذُلَ الدهرَ عاشقاً ... على كَمَدٍ من لَوعةِ البَينِ فاْعشَقِ

(٢) مضرجا فى الموضعين نصب على الحال والمضرج الملطخ بالدم من ضرجت الثوب اذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لامر الهوى يقول : ان القتل انما هو باستنزاف الدم فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب والحوباء النفس والواو فى قوله وينال واو الحال . يقول : ان العشق حلو القرب كقرب المعشوق وان كان ينال من نفس العاشق أى ينتقصها أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم وأغرته أى بعثته على الغيرة وقوله بفدائه أى بفدائك اياه فأضاف المصدر الى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ايت مابك من برح الهوى فى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم مايلاقيه

(٥) وقى أى وقاه الله والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من الهوى لانه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والامير وان كان من الشجاعة والجود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى ألطف من ذلك

(٦) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الاسر والبطل الشجاع والكمى لابس السلاح والعزاء التجلد يقول : ان الهوى يأسر البطل الشجاع المستلئم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصبره وجلده على الرغم من بطولته . وهذا ينظر الى قول جرير

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حتى لاحِرَاكَ بِهِ ... وَهُنَّ أضعفُ خَلقِ اللهِ أَرْكَانا

إِنِّى دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ (١)

فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلاً وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ (٢)

مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيَّهَا فِى أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ (٣)

طُبِعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ وَعَلِىٌّ الْمَطْبُوعُ مِن آبَائِهِ (٤)

---

(١) النوائب الشدائد وسامعها سيف الدولة والاكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير يقول : انى دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك الى نظرائك لجلادها لانك فوق الشدائد

(٢) المتصلصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فاحتطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول الى وحميتنى بذلك منه وهذا قريب من قول أبى نواس

تَغَطَّيتُ مِن دَهْرِى بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِى تَرَى دَهْرِى وَلَيسَ يَرَانِى

(٣) ضمير تكون للسيوف أى بأن تكون السيوف سميها أى مثل سميها وفرند السيف جوهره ووشيه وهو مايرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والاصل النجار والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيوف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه وهذا كقوله * تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

(٤) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود الى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور فى موضع نصب خبر كان وعلى مبتدا والمطبوع صفة له ومن آبائه فى موضع رفع خبر والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبى الهيجاء بن حمدان التغلبى . يقول : ان السيوف مصنوعة من الحديد فهى تنزع الى أصلها الذى صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المعرق له فى الكرم فانه ينزع الى أصله فى المجد والفعال فهى وان شاركته فى الاسم تخالفه فى الأصل وشتان مابينهما

وَقَالَ يمدح الحسين بن اسحاق التنوخى وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء إلى ابى الطيب فكتب إليه يعاتبه فكتب أبو الطيب إليه

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ اسْحاقٍ أِخَائِى ... وَتَحْسِبُ مَاءَ غَيْرِى مِنْ إِنَائِى (١)

أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عِلْمِى ... بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ (٢)

وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا ... وَأَمْضَى فِى الأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ (٣)

وَمَا أَرْبَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّى ... فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ (٤)

وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ فِى مَدِيحِى ... فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْأً بِالْهِجَاءِ (٥)

وَهَبْنِى قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ ... أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ (٦)

---

(١) الاستفهام للتعجب واسحاق مصروف للضرورة والاخاء المصادقة وتحسب تفتح عينه وتكسر أى تظن والماء والاناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتنكر مؤاخاتى إياك وتظن أن ماهجيت به صادر منى ؟

(٢) الهجر القبيح من الكلام يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علمى أنك خير الناس،وهذا مبالغة

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير فى البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت اكره طعما على العدو من طرف السيف وأنفذ فيما تريد من الأمورمن القضاء، وهذا من مبالغات المتنبى المعروفة

(٤) ماحرف نفى وأربت زادت والسن العمر وملت سئمت. يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك اذ أنى بتعرضى لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة

(٥) وماعطف على ما قبله واستغرقت استوفيت يقول : ولم أستوف الى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائيك وأنا باستتمامها أولى منى بالاخذ فى الهجاء

(٦) يقول : وقدر إننى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهارليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس وهل يعمى العالمون عن الضياء

تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرْءٌ جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمُ فِدَائِي (١)
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ كَلامِي مِنْ كَلامِهِمِ الْهُرَاءِ (٢)
وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَتَعْدِلَ بِي أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مرء لغة فى امرؤ يقول : تصغى الى الحساد وتنزل على تهمتهم اياى بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوه مثلى لأنى فداء له لماله من الايادى أما هؤلاء الحساد فهم فداء لى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب الشراح أكثرهم الى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف أى مستحق لان أسأل الله أن يجعلنى فداءه على حد قول الراجز

مَا زِلْتُ أَسْعَى مَعَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ المختلط
جَاؤُا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ *

أى جاؤا بضيح يقول من رآه هل رأيت الذئب قط، وفى هذا من التكلف ما فيه

(٢) من لم يميز مبتدا مؤخر وهاجى نفسه خبر مقدم والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه قال ذو الرمة

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنطِقٌ رَخِيمُ الحواشى لاهُرَاءٌ ولانَزْرٌ

يقول: ان من لم يفرق بين كلامى وبين كلامهم الساقط فانما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من أن لا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعدل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيأ أقل من الهباء وعدله به ساواه وأقل أخص والهباء مايرى فى شعاع الشمس من دق الغبار قال

بَرَانِي الهوى بَرْيَ المُدَى وَأَذَابَنِي صدودُكَ حتى صرتُ أنحلَ مِنْ أَمْسِ
فلَسْتُ أرَى حَتَّى أَرَاكَ وإنما يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فى أَلَقِ الشمسِ

يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء

* الضيح اللبن المخلوط شبه لون الضيح بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لان لونه يشبه لون المذق وهو الضيح

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزِّنَاءِ (١)

وقال يمدح أبا على هرون بن عبد العزيز الأوراجىّ الكاتب وكان يذهب الى التصوف

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِي الدُّجَى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ (٢)
فَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ (٣)

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه اذا طلع وقع الوباء فى الارض وكثر الموت والزنا يمد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادى وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسدالى

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل وازديارك مفعول مقدم واذ تعليليه وأنت ضياء مبتدا وخبر اضيفت حيث الظرفية الى جملتهما ومن فى من الظلام للبدل ويروى

☆ اذ حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدا محذوف الخبر أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ... والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : ان الرقباء قد أمنوا أن تزوريني ليلا لأنك اذا زرتينى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام واذ ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة العكوك

بِأَبِي مَنِ زَارَنِي مُكْتَتِماً حَذِرًا مِن كُلِّ وَاشٍ فَزِعَا
طَارِقًا نَمَّ عليه نُورُهُ كيف يُخْفِي اللَّيلُ بَدرا طَلَعَا
رَصَدَ الخَلْوَةَ حتى أَمكَنَتْ وَرَعَى السَّامِرَ حتى هَجَعَا
كَابِدَ الأَهوالَ فى زَورَتِهِ ثُمَّ ما سَلَّمَ حتى وَدَّعَا

(٣) فلق مبتدا وهتكها خبره ومسيرها عطف على فلق محذوف الخبر للعلم به والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بفلقها حركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبى تدعى غزال المسك وهتكها أى انتهاكها وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : أن المليحة مسك فاذا تحركت انهتك سترها وافتضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فاذا سارت ليلا رآها الناس ، ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قال البحترى

وحاوَلنَ التَرَحل فى الدُجَى فَنَمَّ بِهِنَّ المِسكُ لَمّا تضوعا

أَسَفِي عَلَى أَسَفِي الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيَّ خَفَاءُ[١]
وَشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ[٢]
مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ[٣]

وقال :

وكانَ العَبيرُ بها واشياً وجَرْسُ الحُلِيّ عليها رقيبا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة

ثلاثةٌ منعَتْها مِن زيارتِنا وَقدجاالليلُ خَوفَ الكاشحِ الحنِقِ
ضَوءُ الجبينِ وَوَسواسُ الحُليِّ وما يَفوحُ من عَرق كالعنبر العبقِ
هَبِ الجبينَ بفضل الكُمِّ تَسْتُرُهُ والحَلْيَ تَنْزَعه ما الشأن فى العرق

(١) أسفى على أسفى مبتدا وخبر وخفاء مبتدا وبه من فبه جار ومجرور خبره والأسف الحزن والمدله الذى أذهب العشق عقله وأذهله . يقول : انى آسف على أن شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعني : انى احزن لذهاب عقلى لما لقيت في هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى انما يدرك باللب وليس لى الآن لب

(٢) الشكية الشكوى يقول : انما اشكو عدم السقم لا ن السقم انما كان حين كانت لى اعضاء يعروها السقام فاحسه بأعضائى فاذا طاحت الاعضاء من جراء الجهد الذى ادركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم وهذا المعنى أوضحه البستى بقوله

ولو أَبقى فِراقكَ لِي فؤاداً وَجفناً كُنت أَجْزعُ مِن سُهادى
ولكنْ لارُقادَ بِغيرَ جَفنٍ كما لا وَجْدَ إلاَّ بالفؤاد

(٣) جراحة مفعول ثان لمثلت أو تمييز وقوله فتشابها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهتا حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال

إنّ السماحة والمُروءَ ضُمِّنا قبرًا بِمروَ على الطريقِ الواضح

ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة ، يقول : لما نظرت الى صورت فى قلبى مثال عينيك جرحا يشبه عينيك فى السعة

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا تَنْدَقُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ (١)

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَازُحْمَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ (٢)

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ (٣)

شِيَمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ (٤)

---

(١) نفذت أى العين والسابرى فى الاصل الدرع نسبة الى سابور ويقال للثياب الرفيقة سابرى قال ذو الرمة

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق

والصعدة القناة التى نبت معتدلة فلا تحتاج الى تقويم يقول — اذا كان يريد بالسابرى الدرع —: اخترقت عينك الدرع الى قلبى فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . واذا كان المراد بالسابرى الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت الى قلبى فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله الى لمكانى من الشجاعة ، والشجاع موقى والأول اظهر

(٢) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات لان السيوف تجرف ماحوطا ولاتستطيع اقتلاعها والجوزاء من ابراج الفلك يقول : اذا زوحمت لم يقدر على ازالتى عن موضعى كصخرة الوادى واذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال أن الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق

(٣) الغبى الجاهل القليل الفطنة وقوله فعاذر أى فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف والمقلة العين يقول : اذا خفى مكانى على الغبى فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأنا عاذر له لانه كالأعمى الذى لايرى الاشياء والأعمى معذور فكذلك الغبى الجاهل وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم

وقد بَهَرْتُ فما أَخْفَى على أحد الا على أَكْمَهٍ لا يَعرِفُ القمرا

(٤) صدرى يريد أصدرى فحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لان الشأن فيمن سلكها أن يبيد والشيمة العادة وشككه حمله على الشك وأفضى من الفضاء وهو الاتساع يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبتى فترمينى

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِي نَيِّهَا إِسْآدَهَا فِي المَهْمَهِ الإِنْضَاءُ (١)
أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ (٢)
يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ (٣)

بطول الاسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لوجعل مكان البيداء أم البيداء أفضى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناتى وتجلدى وصبرى على المشقات والاسفار. وتشبيه الصدر بالبيداء فى السعة معنى قد اعتوره الشعراء قال أبو تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وقال البحترى

كريم اذا ضاق الزمان فانه يضل الفضاء الرحب فى صدره الرحب

(١) الأسآد إدمان السير أو سير الليل خاصة والنيء الشحم والسمن والانضاء مصدر أنضاه ينضيه اذا هزله والمهمه الصحراء ومسئدا حال من ضمير تسئد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الانضاء وأسآدها مفعول مطلق عامله مسئدا وتقدير البيت: تبيت هذه الناقة تسئد مسئدا الانضاء فى نيها اسآدا مثل اسآدها فى المهمه يقول : تبيت ناقتى تسير سائرا فى جسدها الهزال مثل سيرها فى الصحراء وهذا المعنى ينظر الى قول أبى تمام

رَعَتْهُ الفَيافِي بَعدَ ما كانَ حِقْبَةً رَعاها وَماءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ ساكِبُهْ

(٢) الانساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرحل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت انساعها فطالت ،وخفافها منكوحة أى مثقوبة بالحصى وكنى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستعار النكاح لوطئها الارض وادماء الحصى اياها،وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التى لم تفتض

(٣) الخريت الدليل سمى خريتا لاهتدائه فى الطرق الخفية كخرت الابرة كانه يعرف كل ثقب فى الصحراء والتوى الهلاك والحرباء دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم اربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف دارت وتتلون ألوانا بحر الشمس يقول : ان هذه الارض طريقها صعبة يتلون الدليل فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء وفى هذه المعنى يقول هدبة

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ شُمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ[١]
وعِقَابُ لُبْنَانٍ وكَيْفَ بِقَطْعِهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ[٢]
لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِبَيَاضِهَا سَوْدَاءُ[٣]
وكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ[٤]

يظل بها الهادى يقلب طرفه من الهول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الطرماح

اذا اجتابها الخريت قال لنفسه أتاك برحلى حائن بعد حائن

(١) شم الجبال بدل من قوله مثله ونصب مثلهن على الحال لانه نعت للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك فيها قائما رجل وكقول ذى الرمة

وَتَحْتَ الْعَوَالِي والقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِبَاءُ أَعارَتْها العيونَ الجآذِرُ

يقول : بينى وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال

(٢) وعقاب عطف على شم الجبال وعقاب جمع عقبة وهى المرتقى الصعب من الجبل والباء فى بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن مثلا وكيف استفهام فى المعنى الانكارى وواو وهو الشتاء للحال والضمير ضمير الشأن يقول : وكذلك بينى وبينه عقاب جبل لبنان وكيف استطيع قطعها والوقت شتاء وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها

(٣) لبس الشىء ولبسه عماه قال تعالى : «وللبسنا عليهم مايلبسون» والضمير فى بها للعقاب والضمير فى كأنها للثلوج أو للمهالك وباء ببياضها متعلقة بمعنى كأن أى التشبيه يقول : ان الثلوج فى هذه الجبال اخفت على طرقى فلم أهتد لكثرتها وبياضها فكأنها اسودت اذ ضللت فيها لان الاسود لايهتدى فيه وهذا معنى حسن كما ترى

(٤) النضار الذهب والنضار أيضا الخالص من كل شىء وقام الماء جمد ومعنى هذا البيت متصل بالذى قبله لانه يقول بياض الثلوج يعمى فقام مقام السواد ، والبياض اذا عمل عمل السواد فقد نقض العادة ، كذلك الكريم اذا أقام ببلدة نقضت العادة فيكون الذهب سائلا والماء جامدا وانما قال هذا لانه أتاه فى الشتاء عند جمود الماء يقول : ان الكريم اذا أقام ببلدة أعطى المال وتخرق فى الكرم حتى لكأن المال ماء سائل فلما رأى الماء هذا الكرم وقف متبلدا متلددا جامدا وهو تخيل بديع

جَمَدَ الْقِطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ (١)

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ (٢)

وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْأَقْذَاءُ (٣)

مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَالَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ (٤)

(١) الانواء فاعل رأته ويجوز أن ترتفع الانواء ببهتت وتتبجس وفاعل ترى يعود على القطار ويروى بدل ترى رأى أى القطار ولكن ترى أحسن لأن القطار مؤنثة والقطار جمع قطر وهو المطر وبهتت دهشت وتحيرت وتتبجس تتفجر والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع رقيبه من الشرق وهى منازل القمر والعرب تنسب اليها الامطار يقولون سقينا بنوء كذا وقد نهى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ويريد بجمود القطار الثلوج يقول : ان المطر جمد لما رأى كرم هذا الممدوح ولو رأته الانواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تتفجر بالثلج استعظاما لما يأتيه وخجلا من جوده

(٢) المداد الحبر والاهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون اليه شغفا به وافتتانا بحسنه ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجود يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس الى خطه، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لان الناس ينقادون اليه غريزة وطبعا، وكل هذا فيما أرى بعيد والاقرب أن المراد أن الناس لحبهم اياه وشغفهم برؤيته يتهافتون على كل ما يكتبه لان فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم المكاتبة نصف المشاهدة

(٣) قرة العين كناية عن السرور قرت عينه بردت ودمع الفرح بارد والاقذاء جمع قذى وهو ما يقع فى العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة يقول: كل عين تسر بقربه ورؤيته وتتأذى بغيبته فكأنها تقذى اذا غاب فلم تره فكأن غيبته قذى للعيون

(٤) من بمعنى الذى خبر ضمير محذوف تقديره هو الذى يهتدى فى الفعل الى مالا يهتدى الشعراء اليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود الى من والشعراء فاعل يهتدى يقول : انما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفعاله من المكارم والمساعى العظام فاذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله

فى كُلِّ يَوْمٍ لِقَوَافى جَوْلَةٌ فى قَلْبِهِ وَلِأُذْنِهِ إِصْغَاءُ(١)
وَإِغَارَةٌ فِيما احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فى كلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ(٢)
مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤَمَاءَ فى تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ(٣)
وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ(٤)

(١) القافية القصيدة لان بعضها يقفو بعضا أى يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض يقول : ان الشعراء تمدحه كل يوم فيمى ذلك فى قلبه ويصغى اليه بأذنه حبا للشعر واعطاء الشعراء

(٢) اغارة عطف على جولة واحتواه جمعه واقتناه من مال والفيلق الكتيبة من الجيش انثه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب بياضها على سوادها يريد صافية الحديد يقول : وللقوافى كل يوم اغارة على ماله حتى لكأن كل بيت كتيبة تنهب ما احتواه

(٣) من بمعنى الذى خبر مبتدا محذوف تقديره هو الذى يظلم الخ واللئيم الخسيس الاصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والاكفاء النظراء والامثال يقول : ان اللئام يحاولون التشبه به حسدا له وهم لايقدرون على ذلك فكأنه ظلمهم ، أو كلفهم أن يماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا قال الواحدى مامعناه ليس فى هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ فى المدح أن يقول الكرماء بدل اللؤماء ، وروى الخوارزمى نظلم بالنون وقال اذا كلفنا اللئام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم فى تكليفهم مالايطيقون

(٤) ذامه كذمه وقوله ونذيمهم مما يؤنس ماذهب اليه الخوارزمى فى روايته البيت السابق من نظلم بالنون يقول المتنبي : ونحن نذم اللئام ولولاهم ما عرفنا فضله لان الاشياء انما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراما لم يعرف فضله وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار

وكُنَّ جوارى الحى مادمتِ فيهم قِباحاً فلما غِبْتِ صِرْنَ مِلاحاً

وقال أبو تمام

وليسَ يَعْرِفُ طيبَ الوصل صاحبُه حتى يُصابَ بنأى أو بهجران

وقال

والحادثاتُ وإنْ أصابك بُؤْسُها فهو الذى أنباكَ كيف نَعيمُها

مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُّهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الْأَعْدَاءُ(١)

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ(٢)

يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الْآرَاءُ(٣)

وقال

سَمُجَتْ وَنَبَّهَنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا ما حولها من نَضرةٍ وجمال

وكذاكَ لم تُفْرِطْ كآبةُ عاطلٍ حتى يُجاوِرَها الزمانُ بحالى

وقال البحترى

وَقَدْ زادها أَفراطَ حُسنٍ جوارُها خَلائقَ اصفارٍ من المجد خُيِّبِ

وَحُسنُ دراريِّ الكواكبِ أَنْ تُرَى طَوالِعَ فى داجٍ من الليل غَيْهَبِ

بيد أن المتنبي صرح بالمعنى وبين أن مجاورة المضادة هى التي تثبت حسن الشيء وقبحه

(١) من بمعنى الذى بدل من الاول يقول : وهوالذى اذا هاجه اعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحريمهم فانتفع بذلك واذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن اعداؤه لهذا منه لسالموه فتسببوا الى مضرته

(٢) السلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة والنوال العطاء ومامن قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : أنه فى الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته فى السلم وبذلك يكون السلم سببا فى نقص أمواله والحرب سببا فى توافرها وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

اذاما أغاروا فاحتوَوا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي فى الاصل القبضة من الحبوب يلقيها الطاحن فى فم الرحى فشبهت العطية بها يقول : انه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسؤلا، وهو من جودة الرأى وسداده بحيث اذا نظر الناس الى رأيه تعلموا منه سداد الآراء.

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ (١)

وَكَأَنَّهُ مَالاَ تَشَاءُ عُدَاتُهُ مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ مَا شاؤُا (٢)

يا أَيُّها الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهَا اسْتِجْدَاءُ (٣)

اِحْمَدْ عُفَاتَكَ لاَ فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا اعْطَاءُ (٤)

لاَ تَكْثُرُ الأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ إِلاَّ إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الأَحْيَاءُ (٥)

---

(١) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكنه مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد وأصل هذا المعنى للبيد

مُمْقِرٌ مُرٌّ على أعدائه وعلى الأدْنين حُلْوٌ كالعسل

« ممقر أى مر » وقال النابغة الجعدى

فتًى تمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

(٢) ما فى الشطرين موصولة وهى فى الاول خبر كأن ومتمثلا منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من ارغامهم وحملهم على الحسد حال تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاؤن فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه

(٣) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء يقول : يامن روحه معطى له اذ ليس يطلبها أحد منه، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله فاذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول بكر بن النطاح

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

(٤) هذا البيت اتمام لمعنى البيت قبله وتأكيد له والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فجعت بفقدهم دعاء له واللام فى قوله فلترك لام الابتداء يقول : اشكر هذا لعفاتك لا أفجعك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال ويروى لا فجعت بحمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك

(٥) اضطربت أقوال الشراح فى هذا البيت فقال أبو العلاء — وذهب الى قريب منه الواحدى — أن المعنى : لا تكثر الاموات كثرة يقل بها عدد الاحياء إلا اذا شقى

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ (١)

لَمْ تُسْمَ يَا هَرُونُ إِلَّا بَعْدَ مَا اقْـ ـتَرَعَتْ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ (٢)

فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ (٣)

لَعَمَمْتَ حَتَّى الْمُدْنُ مِنْكَ مِلَاءُ وَلَفُتَّ حَتَّى ذَا الثَّنَاءُ لَفَاءُ (٤)

الاحياء بغضبك وقتلك أياهم فاذا غضبت عليهم وقاتلتهم عصفت بهم فزدت فى الاموات. زيادة ظاهرة ونقص الاحياء نقصا بينا ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك. أى لا تصير الاموات أكثر من الاحياء إلا إذا مات الممدوح يقول : انك نعمة على الاحياء وفقدك شقاء لهم وهذا على حد قول القائل

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته خلق كثير

ومنه قول الآخر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ويكون قوله كثرة قلة معناه أنك وان كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى القدر والشرف.

(١) الشحناء العداوة قال ابن جنى: يريد: لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك فيضمر لك العداوة فاذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفا وجزعا. وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى : ولم يفسر « ابن جنى » قوله « المتنبى » عما تحته والمعنى عما فيه من الغل والحسد أى أنه وان أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه فاذا أضمر لك العداوة انشق قلبه وبان أنه عدو لك

(٢) يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به افتخارا بك. وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الاسماء وقال المعرى: أراد بالاسم الصيت

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشارك أى لم يشارك اسمك فيك اسما آخر اذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ،والناس كلهم فى مالك سواء قد تساووا فى الاخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء. هذا قول الواحدى وغيره وقال المعرى : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد يقال فلان قد ظهر اسمه فى الناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وانما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم

(٤) اللام فى لعممت واقعة فى جواب قسم محذوف على اضمار قد بعدها والمدن جمع

وَلَجُدْتَ حَتّى كِدْتَ تَبْخَلُ حائِلاً ... لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السُّرورِ بُكاءُ (١)

أَبْدأْتَ شَيأً مِنْكَ يُعْرَفُ بَدْؤُهُ ... وَأَعَدْتَ حَتّى أَنْكَرَ الإِبْداءُ (٢)

فالْفَخْرُ عَنْ تَقْصيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ ... وَالمَجْدُ مِنْ أَنْ تَسْتَزَادَ بَرَاءُ (٣)

فاذَا سُئِلْتَ فَلا لِأَنَّكَ مُحْوِجٌ ... وَاذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الآلاءُ (٤)

وَإِذْ مُدِحْتَ فَلا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً ... لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الإِلٰهِ ثَنَاءُ (٥)

مدينة وملاء جمع ملاءى ومنك متعلق بملاء وفت تجاوزت وذا الثناء أى هذا الثناء واللفاء الحقير الخسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء المثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء بعد حقيرا فى جانب ما تستحقه

(١) حائلا متحولا وللمنتهى أى لأجل الانتهاء ومن السرور خبر وبكاء مبتدا والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تناهيت اليه اذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء

(٢) يقول : أحدثت من الكرم مالا يعرف ابتداؤه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم اتبعت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الاول وأنساه لانك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول

(٣) ناكب عادل وبراء بريء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث يقول : ان الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد بريء من أن يستزيدك لانك فى الغاية منه

(٤) يقول : اذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس الى السؤال ولكن ذلك لكى تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكى يتشرفوا بسؤالك كما قال أبو تمام

مازلت منتظرا أعجوبة زمنا ... حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا

واذا كتمت أى حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك كما قال :

من كان ضوء جبينه ونواله ... لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

(٥) للشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدا مؤخر وعلى الاله متعلق بثناء يقول : ولقد بلغت من الرفعة غاية لا يزيدها مدح مادح ولكن تمدح لتجيز العفاة وليعد الشاعر فى جملة مداحك كالشاكر لله تعالى يثنى عليه ليستحق اجرا ومثوبة لا أنه سبحانه محتاج الى ثنائه

وَإِذَا مُطِرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ ... يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ (١)

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا ... حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ (٢)

لَمْ تُلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا ... إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ (٣)

فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلَا ... أُدُمُ الْهِلَالِ لِأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ (٤)

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ ... وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ (٥)

---

(١) الدأماء البحر يقول : اذا مطرت فليس ذلك لأجداب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصيب والبحر وهما غير محتاجين الى المطر ومن هذا المعنى قول المعرى

والبحر يمطره السحاب وماله ... فضل عليه لأنه من مائه

(٢) النائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى يقول : ليست تحكى السحاب بمائها عطاءك المتتابع فانه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت حسداً لك فما ينصب من مطرها انما هو عرق حماها وهذا ينظر الى قول أبى نواس

ان السحاب لتستحى اذا نظرت ... الى نداك فقاسته بما فيها

قال البديعيون : وفى هذا البيت حسن التعليل لصفة لايظهر لها فى العادة علة وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح ومن هذا الباب قول بعضهم

رأى المزن ماتعطى فضم على الاسى ... فؤادا كأن البرق فيه لهيب

(٣) يقول : لاحاجة الى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة وقلة حياء منها

(٤) الأدم جمع أديم وهوظاهر كل شيء ، والأخمص باطن القدم ومارق من أسفلها وتجافى عن الارض وقيل خصر القدم وقد يراد بها القدم كلها، قال الواحدى : قوله فبأيما قدم استفهام معناه التعجب وما زائدة : يتعجب من سعيه الى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ أحد ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلا لقدميه يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ تستأهل أن يكون الهلال نعلا لها

(٥) يدعوله يقول : ليهلك الزمان دون هلكك وليمت الحمام — وهو الموت — دون موتك، وكل هذا كما ترى مبالغة فى الدعاء

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذْ مِنْكَ هُوْ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِها حَوَّاءُ (١)

وغنى المغنى فى دار أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج فأحسن فقال

مَاذَا يَقُولُ الَّذِى يُغَنِّى يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتَ ذِى السَّمَاءِ (٢)

شَغَلْتَ قَلْبِى بِلَحْظِ عَيْنِى إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ (٣)

وبنى كافور داراً بأزاء الجامع الأعلى على البركة وطالب أبا الطيب بذكرها فقال

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدَّنِى مِنَ الْبُعَدَاءِ (٤)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهَنَّأُ عُضْوٌ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ

مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نُجُومًا آجُرُّهَا الْبِنَاءِ (٦)

وَلَوَ انَّ الَّذِى يَخِرُّ مِنَ الْأَمْـ ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ (٧)

---

(١) اللذ لغة فى الذى يقول : لولم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد، والشطر الاول ردىء ولكن الثانى جميل

(٢)و(٣) الاستفهام للتعجب وذى السماء أى هذه السماء يقول : لا أدرى ما يقول هذا المغنى لأن قلبى وجوارحى مشتغلة بك وبالنظر الى حسنك عن حسن غناء هذا المغنى

(٤)و(٥) يدنى من الدنو أى يقترب وأنا منك مبتدا وخبر ولايهنىء عضو كلام مستأنف يقول : انما يهنىء الرجل نظراؤه والذين يتقربون اليه من الاجانب وأنا منك أشاركك فى كل أحوالك أسر بسرورك واذا ألم بانسان فرح وعراه سرور اشتركت فى ذلك جميع أعضائه فلم يهنىء بعضها بعضا قال الواحدى : وهذا طريق المتنبى يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى لم احتمل ذلك منه

(٦)و(٧) مستقل خبر مبتدا محذوف أى أنا مستقل ويروى أستقل والآجر الطوب

أَنْتَ أَعلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بِمَكانٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ (١)

وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا يَسـ ـرَحُ بَيْنَ الْغَبْرَاءِ وَالخَضْرَاءِ (٢)

وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْمِـ ـلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ (٣)

إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسـ ـكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلْيَاءِ (٤)

وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْـ ـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ (٥)

وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيـ ـضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الأَعْدَاءِ (٦)

وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسـ ـكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيجُ الثَّنَاءِ (٧)

لَا بِمَا يَبْتَنِي الحَوَاضِرُ فِي الرِّيـ ـفِ وَمَا يَطَّبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ (٨)

المشوى ويخر من خرير الماء يقول : أنا أستقل لك الديار وان بنيت بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة،وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك

(١)و(٢)و(٣) محلة أى منزلة تميز وأن تهنى فى موضع نصب باسقاط حرف الجر أى من أن تهنى والغبراء الارض والخضراء السماء والسمهرية الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تهنأ بمكان والبلاد كلها والناس وكل مابين السماء والارض ملك لك ونزهتك انما هى الخيل وما تحمله من الرماح فهى بساتينك،جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر

(٤) يقول انما فخره بمايبتنى من العلياء لا بمايبتنى من الدور كما قال

بنى البناة لنا مجدا ومكرمة لا كالبناء من الآجر والطين

(٥)و(٦) وبأيامه عطف على قوله بما يبتنى وكذلك قوله وبما أثرت،وانسلخت مضت والهيجاء الحرب والصوارم السيوف . يقول : انما فخر أبى المسك بما يبتنى من العلياء وبأيامه التى مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الاعادى ولم يكن له اذ ذاك دار إلا ساحة الحرب وبها شاد عزه وعلياءه

(٧) وبمسك عطف كذلك على بما يبتنى . ويكنى به صفة لمسك وليس بالمسك صفة أخرى والاريج فوحان الطيب يقول : وانما يفخر بالمسك الذى يكنى به والذى ليس هو المسك المعروف وانما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن

(٨) يبتنى الحواضر أى أهل الحواضر جمع حاضرة خلاف البادية والريف المكان

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْـــسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ (١)

حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ المَكْرُمَاتِ وَالآلاَءِ (٢)

تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمـــسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ (٣)

إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي المَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءِ (٤)

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنِ ابْيِضَاضِ القَبَاءِ (٥)

الخصب الكثير الزرع والخضرة ويطبى يستميل قال كثير

له نَعَلٌ لا يَطَّبِي الكلبَ رِيحُها وإن خُلِّيَت فى مجلسِ القومِ شُمِّتِ

« يعنى كثير انها من جلد مدبوغ طيب الريح » يقول المتنبى : انما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الاعداء وطيب الثناء لا بما يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستميل قلوب النساء

(١) السنا المقصور الضوء والنور والممدود الشرف والرفعة يقول : ان هذه الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونورا فكأنك أنزلت الدار فى دار أجل منها وأجل أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك

(٢) الرياحين جمع ريحان جمع ريحانة والريحان كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم ، والآلاء النعم ، والمعنى ظاهر

(٣) ذرت الشمس بدت أول طلوعها قال الواحدى : يريد أنه فى سواده مشرق فهو باشراقه فى سواده يفضح الشمس ، ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكرا . او يريد نقاءه من العيوب ويقال للمشهور منير وللنقى من العيوب منير ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى

(٤) أخبر أنه أراد بأنارته ضياء المجد وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به وان ذلك الضياء أتم من كل ضياء فهو يزرى أى يستهين بكل ضياء

(٥) القباء الثوب يقول : انما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وانما المعول عليه بياض النفس ونقاؤها من العيوب وهذا المعنى ينظر الى قول سحيم عبد بنى الحسحاس

إن كنتُ عبداً ففى نفسى حُرِّيتُها أو أسودَ اللون إنّى أبيض الخُلُق

كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٍ ... فِي بَهَاءٍ وقُدْرَةٌ فِي وَفَاءِ (١)

مَنْ لِبِيضِ المُلوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ ... نَ بِلَوْنِ الأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ (٢)

فَتَرَاهَا بَنُو الحُرُوبِ بِأَعْيَا ... نٍ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللِّقَاءِ (٣)

يَا رَجَاءَ العُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ ... لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي

وَلَقَدْ أَفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلِي ... قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وَزَادِي وَمَائِي (٤)

فَارْمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي ... أَسَدُ القَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ (٥)

وَفُؤَادِي مِنَ المُلُوكِ وَإِنْ كَا ... نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ (٦)

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقى فى طريقه ويهجو كافورا

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى ... فِدًا كُلُّ مَاشِيَةِ الهَيْذَبَى (٧)

---

(١) أى لك كرم فى شجاعة الخ يقول : انك كريم شجاع ذكى الطبع بهى المنظر ذو قدرة على ما تريد واف بالعهد والوعد فيما تقول

(٢)و(٣) السحناء السحنة أى المنظر وبأعيان أى بعيون يقول : أن الملوك البيض الالوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحنتك ليراهم أهل الحرب بالعيون التى يرونك بها وذلك أن الاسود مهيب فى الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم بهذه الامنية ؟

(٤) المفاوز الصحراوات المهلكة يقول : لقد أفنت المفاوز التى جبتها اليك خيلى وزادى ومائى ، يذكر طول الطريق اليه وانه صمد اليه من شقة بعيدة

(٥)و(٦) الرواء المنظر والشارة يقول : استكفنى ما شئت من أى أمر عظيم تقذف بى اليه فان قلبى قلب الاسد شجاعة وان كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد الملوك عزماً ورأيا ودهاء وان كان لسانى لسان شاعر . قيل أن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض الى طلب ولاية من كافور . وقالوا انه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه مافى نفسه

(٧) الخيزلى مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل وتفكك قال الفرزدق

وَكُلُّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ خَنُوفٍ وَمَا بِيَ حُسْنُ المَشَى (١)
وَلَكِنَّهُنَّ حِبالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى (٢)
ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ القِمَا رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا (٣)
اذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ القَنَا (٤)

قَطُوفُ الخُطَا تَمشِي الضُحَى مُرْجَحِنَّةً وتَمشِي العَشِيَّ الخَيْزَلَى رَخْوَةَ اليَدِ

والهيذبى ضرب من مشى الابل فيه سرعة ، من قولهم أهذب الظليم اذا أسرع يقول : فدت كل امرأة تمشى الخيزلى كل ناقة تمشى الهيذبى يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وانما هو من أهل السفر ومن ثم كان مولعا بالابل وهذا من قول أبى تمام

يَرَى بالكِعابِ الرُّودِ طلعةَ ثائرٍ وبالعِرْسِ الوجْناءِ غُرَّةَ آيبِ

(١) وكل عطف على كل ماشية الهيذبى والنجاة الناقة السريعة وبجاوية منسوبة الى بجاوة وهى أرض بالنوبة تعرف نوقها بالسرعة حكى ابن جنى عن المتنبى قال : يرمى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فاذا وقعت فى الرمية طار الجمل اليها حتى يأخذها صاحبها . ويقال خنف البعير فى مشيه إذا سار فقلب خف يده الى وحشيه والمشى جمع مشية يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء ومابى شهوة الى ذلك وإنما نزاعى وميلى إلى كل ناقة خفيفة المشى

(٢) العداة الاعداء والميط الدفع يقول : لست آبه للمشى سواء أكان مشى نساء أم مشى ابل ولكن ولوعى بالابل انما هو لانها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك وبها تكاد الأعداء ويدفع الاذى (٣) التيه هنا تيه بنى اسرائيل وهو الذى بين القلزم وأيلة وهو الذى سلكه حين هرب من مصر الى العراق والأشارة الى الفوز والهلاك يقول : ضربت بها الفلاة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لايدرى ما يقسم له من غنم أو غرم كذلك أنا سلكت بناقتى القفار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك فالعاقبة اماهذا وأما هذا (٤) اذا فزعت أى فزع راكبها وقدمتها أى تقدمتها وقوله بيض السيوف وسمر القنا من المقابلة الجميلة يقول : اذا فزعت هذه الناقة تقدمتها الخيل — لانهم كانوا يجنبون الخيل ويركبون الابل فاذا لاقوا الاعداء

فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِى رَكْبِهَا ... عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى (١)

وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا ... بِ وَادِى الْمِيَاهِ وَوَادِى الْقُرَى (٢)

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ ... فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا (٣)

وَهَبَّتْ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو ... رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا (٤)

رَوَامِى الْكِفَافِ وَكِبْدِ الْوِهَادِ ... وَجَارِ الْبُوَيْرَةِ وَادِى الْغَضَى (٥)

وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ... ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا (٦)

ركبوا الخيل — فاذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها

(١) نخل ماء معروف يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه واصحابه — غنى عن العالم أى عن خفارة أحد لانهم يحفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لانهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظمأ (٢) النقاب موضع يتشعب منه طريقان طريق الى وادى المياه وطريق الى وادى القرى ونامن تخيرنا مفعول أول ووادى المياه مفعول ثان واسكن الياء ضرورة يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير إما إلى وادى المياه وإما الى وادى القرى . . فجعل هذا التقدير منهم كأن الأبل خيرتهم فقالت ان شئتم سلكتم هذا الطريق وان شئتم سلكتم الطريق الآخر وهذا على المجاز والاتساع (٣) تربان هنا موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ يقول : وقلنا للأبل أين أرض العراق — لأنا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان هاهى ذه أى دانية يريد أن هذه الابل سريعة قوية على السير الى حد أن هذه المسافة المترامية ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق

(٤) حسمى موضع والدبور الريح الغربية والصبا ريح الشرق وهبت أى الابل أى نشطت فى سيرها يقول : وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق

(٥) روامى أى قواصد حال من ضمير النوق وأسكن الياء ضرورة وهذه كلها اسماء مواضع ووادى الغضى بدل من جار البويرة (٦) بسيطة موضع وجابت قطعت والمها بقر الوحش يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء سائرة بين النعام والمها لانها مواضع خالية من الاناسى ومن ثم تألفها الوحوش

إِلَى عُقْدَةِ الجَوْفِ حتَّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الجَرَاوِىِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)

وَلاَحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصَّبَاحَ ... وَلاَحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)

وَمَسَّى الجُمَيْعِىَّ دِئْدَاؤُهَا ... وَغَادَى الأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا (٣)

فَيَالَكَ لَيْلاً على أَعْكُشٍ ... أَحَمَّ البِلاَدِ خَفِىَّ الصُّوَى (٤)

وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فى جَوْزِهِ ... وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا ... حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلاَ (٦)

---

(١) عقدة الجوف مكان معروف والجراوى منهل والصدى العطش يقول : جابت النياق بسيطة الى عقدة الجوف حتى شفت عطشها بماء الجراوى (٢) قال الواحدى: صور اسم ماء والصحيح أنه صورى والثغور موضع بالسماوة والصباح والضحى إما منصوبان على معنى المعية وإما مرفوعان على انهما معطوفان على ماقبلهما يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح وظهر لها الشغور مع وقت الضحى (٣) الجميعى والاضارع والدنا مواضع والدئداء سير سريع أرفع من الخبب يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميعى وفى الغداة بلغ الاضارع والدنا (٤) أعكش موضع قرب الكوفة وأحم وخفى صفتان لليلا وليلا تميز والاحم الشديد السواد والصوى أعلام من حجارة تنصب فى الطريق ليهتدى بها. يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق (٥) الرهيمة موضع قرب الكوفة والجوز فى الأصل الوسط والمراد به هنا صدر الليل لقوله وباقيه أكثر والضمير فى الموضعين لليل يقول : وردنا هذا المكان صدر الليل وباقيه أكثر مما مضى منه وقال بعضهم ضمير جوزه لأعكش أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « اعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه (٦) يقول : لما القيناعصاالتسيار واستقربنا النوى فى الكوفة وأنخنا ركابنا بها وركزنا الرماح ـ شنشنة من بترك السفر ـ كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا فكأنا نزلنا عليها

وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ... وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا (١)

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ... وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى (٢)

وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ ... وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا (٣)

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى ... وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفاً أَبَى (٤)

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ ... وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا (٥)

وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ ... يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى (٦)

وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى ... عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا (٧)

وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا ... وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمًى لَا كَرَى (٨)

وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا بَيْنَنَا ... مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى (٩)

---

(١) يقول : بتنا نقبل أسيافنا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس (٢) لتعلم مصر أى أهل مصر والعواصم بلاد قصبتها انطاكية وألف الفتى للاستغراق أى الكامل الفتوة (٣) وفيت أى لسيف الدولة اذ رجع اليه ، وأبيت أى ضيم كافور وعتوت أى تجبرت على من تجبر على (٤) سامه الامر كلفه اياه وسامه خسفا أذله (٥) يصدع صم الصفا يشق الحجارة القوية وينفذ فيها وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأى والعزم والأناة يقول : لابد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الاحداث والكروب ولو تضامت تضام الصخر (٦) التوى الهلاك يقول : ومن له قلب كقلبي في الأقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويخوض شدائده حتى يصل الى العز (٧) يقول : وكل طريق يسلكه الانسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه (٨) الخويدم تصغير خادم يريد كافورا يقول : نام كافور عن ليلنا الذى خرجنا فيه من عنده وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما كرى أى النوم المعروف وهذا كقول الآخر

وخبرنى البواب أنك نائم ... وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

(٩) مهامه اسم كان وبيننا خبرها يقول : ولما كنت قريبا منه كان بغى وبينه مع

لَقَدْ كُنتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيِّ أَنَّ الرُّؤْسَ مَقَرُّ النُّهَى (١)

فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيتُ النُّهَى كُلَّهَا فِى الْخُصَى (٢)

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا (٣)

بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ أَهْلِ السَّوَادِ يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا (٤)

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنتَ بَدْرُ الدُّجَى (٥)

وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الْكَرْكَدَنَّ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى (٦)

هذا القرب صحروات من جهله وعماه وبذلك كنت كأنى بعيد عنه لان الجاهل لايزداد علما بالشىء وان قرب منه (١)و(٢) النهى العقول يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤس مقر العقول فلما رأيت عقله ومابه من أفن عدلت عن ظنى وقلت ان العقول كلها فى الخصى فانه لما خصى ذهب عقله وحمق (٣) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التى تستدعى الضحك ثم قال لكن ذلك الضحك كالبكاء كما قالوا وشر البلية مايضحك (٤) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين قال المعرى

أينَ امْرُؤ القيس والعذارَى إذْ مال مِن تحتِهِ الغَبيطُ

استنبطَ العُرْبُ فى المَوامِي بَعْدَكَ واسْتَعْرَبَ النَبيطُ

والسواد سواد العراق والفلا جمع فلاة والمراد بها البادية وأهل البادية هم العرب قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا الفضل بن حنزابه وزير كافور وقيل أبابكر المادرانى النسابة وذلك مضحك لانه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٥) المشفر فى الأصل شفة البعير يقول: وبمصر أسود ـ يريد كافورا ـ عظم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه يموهون عليه ويشبهونه بالبدر والبدر هو ماهو جمالا واشراقا والأسود هو ما هو قبحا واظلاما ومع ذلك يصدقهم ويغبط بتكذابهم

(٦) الكركدن بتشديد الدال والعامة ـــ كما فى القاموس ـــ تشددالنون هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة قصير القوائم كثيف الجلد على أنفه قرن واحد وبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرميس يقول : ورب شعر مدحت به هذا

فما كانَ ذَلِكَ مَدْحًا لهُ ... وَلَكِنَّهُ كانَ هَجْوَ الْوَرَى (١)
وقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بأَصنامِهِم ... فَأَمَّا بِزَقٍّ رِيَاحٍ فَلا (٢)
وتِلْكَ صُمُوتٌ وذَا نَاطِقٌ ... إِذَا حَرَّكُوهُ فَسَا أَوْ هَذَى (٣)
ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رَأَى غَيرُهُ مِنْهُ مَالَا يَرَى (٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام فقال *

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلى عَلَاءٍ ... أَبَيتُ قَبُولَهُ كلَّ الإِبَاءِ (٥)
ومَا سَلَّمتُ فَوْقَكَ لِلثُّرَيَّا ... ولا سَلَّمتُ فوقك للسماءِ (٦)

الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر وان كان شعرا فى نفسه بيد أنه كان منى له رقية أرقيه به وأحتال لأجتلب ماله (١) قال ابن جنى : اذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفالا ثم مدح فذلك هجو لهم لأن فيه إرغاما لهم ومدحا لمن ينافى طباعهم (٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لاعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح — يعنى كافورا — وينقادوا اليه ويعظموه فذلك مالم أره الا فى مصر وأهلها — والزق أسود واذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه (٣) تلك أى الأصنام وذا أى زق الريح والمعنى ظاهر (٤) هذا هو بيت القصيد يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا واعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه فرأى الناس من عيوبه مالا يرى واستقبحوا منه ما استحسن وأنه لبلاء عظيم . . . ☆ كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الخراب فقيل له انه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة

لَيْتَ أَنَّا اذا ارتحلتَ لكَ الـــخيلُ وأنَّا اذا نزلتَ الخيامُ

لأن الخيام تكون فوقه فقال هذه الأبيات ارتجالا (٥) و (٦) يقول : ان الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت وانى آبى ذلك كل الاباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا فكيف اسلم بأن تكون الخيام فوقك يريد أن رتبتك فوق كل شىء فليس ثم شىء يعلوك رتبة وقدرا

وَقَدْ أَوْحَشَتْ أَرْضَ الشَامِ حتّى ... سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ البَهاء (١)

تَنَفَّسُ وَالعَواصِمُ منك عَشْرٌ ... فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِى الهَوَاء (٢)

وقال يهجو السامرى *

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كلِّ راءِ ... فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الأَغْبِيَاء (٣)

صَغُرْتَ عن المَدِيحِ فَقُلْتَ أُهْجَى ... كَأَنَّكَ ما صغرتَ عن الهجاء (٤)

وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فى مُحال ... وَلاَ جَرَّبْتُ سَيْفِى فى هَبَاء (٥)

---

(١) يقول : لما زايلت الشام وفارقها أو حشتها فسلبتها بذلك ثوب الجمال الذى كانت تشتمل به بمقامك فيها فلما غادرتها غادرها جمالها وأنسها (٢) يقول : اذا تنفست والعواصم على عشر ليال منك عرف اهلوها والمقيمون بها طيب نفسك فى الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى عينة

تَطَيَّبُ دنيانا اذا ما تنفّستْ ... كأن فتيت المسك فى دورنا هبّا

وتنفس بحذف إحدى التاءين أى تتنفس والعواصم بلاد منها حلب وقنسرين وانطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار وقوله منك عشر أى على مسيرة عشر ليال ☆ أنشد المتنبى سيف الدولة يوما قوله ☆ واحر قلباه ممن قلبه شبم ☆ وانصرف فاضطرب المجلس وكان فيه نبطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامرى فقال لسيف الدولة : الحقه فآخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبى هذه الابيات يهجوه بها (٣) يقول : ياسامرى يامن يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ماأنشدته وأنت أغبى الاغبياء . والسامرى نسبة الى سامرى بلد بناه المعتصم قرب بغداد وكان لما أخذ فى بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم برؤيتها فقيل سر من رأى ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسر مرى والضحكة الذى يضحك منه (٤) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدرى انك كذلك أحقر من أن تهجى لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يرونه أهلا حتى للهجاء (٥) يقول : وكيف يخطر لى أن أهجوك وما فكرت قبلك فى باطل حتى اكترث له أى ما هجوت قبلك مثلك ولا حاك